مقدمة الكتاب

لاهوت العهد

لاهوت العهد، هو منهج تفسيري كتابي، يشرح بوضوح وفر نعمة الله نحو الخطاة. لاهوت العهود هو نظام إيمان، ووجهة نظر شاملة، محورها الله. لاهوت العهد هو طريقة حيوية لفهم بنية الخلاص التاريخي في الكتاب المُقدَّس. استخدم اللاهوت المُصلَح، «لاهوت العهد»، كمبدأ تنظيمي، لنقل فكرة أنّ الله يتواصل مع البشر عبر العهود معهم. يفسّر لاهوت العهد، الكتاب المُقدَّس، من خلال مصفاة عهود الله. يُفسّر، العلاقة بين الله والإنسانية في سياق المبادرات الإلهية نحو الإنسان، ويشدّد على أهمية دعوة الكتاب المُقدَّس للمؤمنين والمؤمنات بأن يعيشوا حياة الطاعة، في ثقة وتواضع. يعطي لاهوت العهد أهمية كبرى للعهود لفهم العلاقة الإلهية الإنسانية، ويقرّ بالمعنى المحوري للعهود الكتابية في بنية التاريخ الخلاصي، وانكشاف تاريخ الفداء، ووحدة وتطوّر تاريخ الفداء على ضوء تعاليم الكتاب المُقدَّس والعهود الإلهية. قال الواعظ الكبير تشارلز سبيرجن: «يَكْمُن لاهوت العهد في أساس كلّ اللاهوت الحقيقي».

يعلِّم لاهوت العهد، أنّ كلّ تعاملات الله مع البشر، هي ذي طبيعة عهدية. لذا، يرصد لاهوت العهد مبادرة الله الدائمة في إقامة اتفاق مع الإنسانية، لكي يستلموا نعمة الله. والمستلمون مدعوون لقبول العهد الإلهي المقدّم لهم بشكلٍ كاملٍ، وحفظه كما يطلب الله. يَعرض لاهوت العهد، العهود الكتابية المتضمّنة في الكتاب المُقدَّس، ويُظهر كيف أنّ هذه التعاليم، تتضمّن وتربط مجموعة من المواضيع اللاهوتية والكتابية الحيوية معًا، أهمها: هدف الله في التاريخ، وطبيعة شعب الله، والعلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد، والعلاقة بين الشريعة

والإنجيل، والاستمرارية وعدم الاستمرارية في تقدُّم تاريخ الفداء، والتفاعل بين السيادة الإلهية والمسؤولية البشرية، ويقين الخلاص، وأسرار الكنيسة.

يمزج لاهوت العهد أفكارًا هامة من اللاهوت النظامي واللاهوت الكتابي، لكي يزوّد بالأساس التفسيري الضروري، لهذه المواضيع الكتابية واللاهوتية الشديدة الأهمية. تنبع فرادة لاهوت العهد، في أنَّه بدلًا من التركيز على اختلافات معيّنة في الكتاب المُقدَّس، فإنَّ لاهوت العهد يدافع عن وحدة العهود في الكتاب المُقدَّس، ووحدة كلّ جماعة الإيمان في كل العصور، كون أنَّ العهد الذي صنعه الله معهم يجمعهم ويُوحَّدهم جميعهم. وهي وحدة تتخطّى كلّ الحدود.

يتكوّن كتابي «لاهوت العهد المُصلَح» من عشرة فصول، نخوض فيه غمار لاهوت العهد في الكتاب المُقدَّس واللاهوت المُصلَح:

في الفصل الأول، نستطلع باختصار سلسلة العهود المذكورة في العهد القديم من الكتاب المُقدَّس، والتي هي: العهد النوحي، العهد الإبراهيمي، العهد الموسوي، والعهد الداودي.

في الفصل الثاني، نتوقّف مع اللاهوتي الأول، الذي كتب عملًا مكتملًا عن العهد. إنه المُصلَح الإنجيلي السويسري هينريخ بولينغر، الذي كتب عام ١٥٣٤ كتابًا بعنوان: «عرض مختصر عن عهد الله الأبدي الواحد»، الذي تحدّث فيه عن طبيعة العهد، ووحدة العهد، وشروط العهد، وميَّز بين الشريعة والطقوس في الشريعة، مؤمنًا أنّ يسوع المسيح هو محور العهد.

في الفصل الثالث، نتوقّف مع مفهوم المُصلَح الإنجيلي الفرنسي جان كلفن، الذي عرّف العهد على أنه رباط شركة بين الله وشعبه، وشبَّه العهد بتشبيه الزواج بين الله وشعبه في العهد القديم، وبين المسيح والكنيسة في العهد الجديد. وضع المُصلَح كلفن مبادئ لتفسير العهد. ميّز بين إسرائيل الجسدية وإسرائيل الروحية، العهد الروحي والعهد الجسدي، وبين أبناء العهد، وأبناء الوعد. وتحدّث

عن الاستمرارية وعدم الاستمرارية بين العهد القديم والعهد الجديد. وعن دور الوصايا العشر في عهد النعمة، ومِيزات العهد الجديد.

في الفصل الرابع، نستطلع لاهوت العهد في تاريخ الكنيسة. نمسح باختصار لاهوت العهد لدى آباء الكنيسة، وكنيسة القرون الوسطى. وحقبة الإصلاح الإنجيلي، وحقبة ما بعد الإصلاح ولا سيما في القرن السابع عشر، إذ في تلك الحقبة، تنظّم لاهوت العهد عقائديًا. نتوقف لفترة وجيزة مع اعتراف إيمان ويستمنيستر المُصلَح، لنصل إلى لاهوت العهد في العصر الحديث. يتبنى لاهوتيّو العهد المعاصرون منظومة عهدية، مؤلفة من عهود ثلاثة، هي: «عهد الفداء»، و»عهد الأعمال»، و»عهد النعمة».

في الفصل الخامس، نتعرّف على مفهوم «عهد الفداء»، الذي اعتبر العهد الأول، الذي أقيم أبديًا بين أقانيم الثالوث قبل الزمن لخلاص البشرية. بحسب هذا العهد، خطّط الله المثلّث الأقانيم لخلاص الجنس البشري، إذ أنَّ الابن لم يأت من ذاته، لكنه أرسل بناء على خطة ثالوثية. نغوص في هذا الفصل، بدراسات كتابية تظهر، أنّ «عهد الفداء»، هو عقيدة كتابية.

في الفصل السادس، نتعرّف على مفهوم «عهد الأعمال»، الذي وضع فيه الله شرطًا على آدم والإنسانية، ألاَّ وهو طاعة وصيته بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وبالتالي، كان، «عهد الأعمال»، امتحانًا لطاعة آدم. نتعرّف في هذا الفصل على خصائص «عهد الأعمال»، والتي أهمها، أنَّ آدم خلق مستقيمًا، وكان لديه القدرة الفطرية ليطيع الله، لكنه بتمرُّدِه ورفضه الانصياع إلى وصية الله، سقط في الخطية الأولى، ونقل الخطية الأصلية، إلى ذُرِّيَتِه الإنسانية.

في الفصل السابع، نتعرّف على مفهوم «عهد النعمة»، الذي تأسّس بعد سقوط آدم في الخطية الأصلية. إنَّ «عهد النعمة» ابتدأ تحقيقه بعد السقوط،

عندما قال الله للحيّة: «**وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ**». (تكوين ٣: ١٥). إنَّ وسيط «عهد النعمة»، هو يسوع المسيح. نتعرّف في هذا الفصل على خصائص، «عهد النعمة»، على مكانة الشريعة في «عهد النعمة»، وعلى كيفية تطبيق عهد النعمة في حياة المختارين!

في الفصل الثامن، نستطلع جذور لاهوت العهد، الموجودة في كتابات المُصلَح جان كلفن. بالرغم من عدم استخدام كلفن للمصطلحات العهدية، المستخدمة من قبل لاهوتيّ العهد المعاصرين. لكن ما كتبه جان كلفن عن العهد، يمكن الاستخلاص منه أفكارًا عن منظومة العهود الثلاثة: «عهد الفداء»، و»عهد الأعمال»، و»عهد النعمة»، التي يدين فيها اللاهوتيون العهديون المعاصرون.

في الفصل التاسع، نتوقّف لنتأمل بفرادة العهد الجديد، الذي أسَّسَه الرب يسوع المسيح بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات لخلاصنا. نتأمل في هذا الفصل، بعناوين لافتة: كمال العهد القديم في العهد الجديد. العهد الجديد عهد حياة. الحياة هي في حفظ العهد. يسوع المسيح، هو الحياة الفضلى، والحياة الأبدية.

في الفصل العاشر والأخير، نُعيد التأكيد، أنّ لاهوت العهد هو دفاع أمين عن لاهوت حركة الإصلاح الإنجيلي والمُصلَحين الإنجيليين. نتعرّف على آراء بعض لاهوتيّ العهد المعاصرين، الذين يدعمون هذا الرأي. نرى في هذا الفصل، باختصار كيف أن لاهوت العهد، يتصدّى للاّهوت التدبيري، الذي يقسّم تعاملات الله مع الإنسان إلى ثماني حقبات أو تدابير، إذ أنَّ كل تدبير يدار بشكل مستقل ومنفصل عن التدبير الآخر. تُشدِّد التدبيرية، على التمييز الحاد بين الكنيسة وإسرائيل، لكنّ لاهوت العهد، يؤمن أنّ العهود الكتابية بنيت على بعضها البعض، وهي تعلن عهد الله الأبدي هو واحد، منذ الأزل إلى الأبد.

القس سهيل سعود

الفصل الأول

عهود الله في الكتاب المُقدَّس

الكتاب المُقدَّس كتاب عهد

يؤمن لاهوتيّو العهد، أنّ الكتاب المُقدَّس هو كتاب عهد، ويجب أن يُقرأ عهديًا. يُعبّر مصطلح «العهد» عن علاقة الله مع شعبه بأسلوب ديناميكي. فشعب الله، يُؤمن أنَّ الله هو ربّ التاريخ الذي يختار شعبه، ويصنع عهدًا معهم. مع أنَّ كلمة «عهد»، لا تظهر، حتى الإصحاح السادس من سفر التكوين، كما يذكر النص، «**وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ**». (تكوين ٦: ١٨). تتضمّن العهود الإلهية في الكتاب المُقدَّس، النقاط التالية: أولًا: الله يبادر في العهود الإلهية. فقد خلق الله آدم وحواء، وأقام معهما علاقة عهدية. الله يفي بالتزاماته مع آدم وحواء وليس مع حيوانات. ثانيًا: إنّ عهود الله، هي علاقات ملزمة، الهدف منها تذكيرنا بأننا ننتمي إلى الله. تدعو هذه العهود إلى التزام كامل من الإنسان. ثالثًا: عهود الله هي علاقات واتفاقات حيّة. إنها تُنظّم حياة الإنسان مع الله والآخرين في هذه الحياة، هنا والآن. رابعًا: عهود الله، هي علاقات فريدة، إذ أنّ الله يربط نفسه معنا، ويربطنا مع نفسه من خلال العهد. وهكذا، فإنه يتّخذنا ملكًا ثمينًا له، ويعطي نفسه لنا، كَمُلك ثمين جدًا لنا.

تُذْكَر كلمة «عهد» بصياغات متنوعة حوالي ثلاثمائة مرة في العهد القديم، وأكثر من ثلاثين مرة في العهد الجديد. مثلًا، عندما أراد الله أن يُؤكّد لإبراهيم على صِدقية كَلمته، فإنه صنع معه عهدًا (تكوين١٧ و١٥ و١٢). عندما أراد الوحي أن يظهر كيف أنَّ خطة الله للفداء، كانت مُنظّمة ولها أساسات تنكشف في التاريخ، فإنه لجأ إلى ذكر العهود. يذكر سفر التكوين، «**فَالآنَ هَلُمَّ نَقْطَعْ**

عَهْدًا أَنَا وَأَنْتَ، فَيَكُونُ شَاهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ». (تكوين ٣١: ٤٤). ويذكر سفر يشوع، «**وَسَارُوا إِلَى يَشُوعَ إِلَى الْمَحَلَّةِ فِي الْجِلْجَالِ، وَقَالُوا لَهُ وَلِرِجَالِ إِسْرَائِيلَ: «مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ جِئْنَا. وَالآنَ اقْطَعُوا لَنَا عَهْدًا»** (يشوع ٩: ٦). ويذكر سفر ملوك الأول، «**وَقَالَ لَهُ: «إِنِّي أَرُدُّ الْمُدُنَ الَّتِي أَخَذَهَا أَبِي مِنْ أَبِيكَ، وَتَجْعَلُ لِنَفْسِكَ أَسْوَاقًا فِي دِمَشْقَ كَمَا جَعَلَ أَبِي فِي السَّامِرَةِ». فَقَالَ: «وَأَنَا أُطْلِقُكَ بِهذَا الْعَهْدِ». فَقَطَعَ لَهُ عَهْدًا وَأَطْلَقَهُ»**. (ملوك الأول ٢٠: ٣٤). حول العهد بين يوناثان وداود، يذكر سفر صموئيل الثاني، «**وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ عَهْدًا لأَنَّهُ أَحَبَّهُ كَنَفْسِهِ**». (٢صموئيل ١٨: ٢-٣). تنبّأ النبي إرميا عن العهد الجديد على الأقلّ ستمائة سنة قبل حصوله. يذكر النص، «**هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا»**. (إرميا ٣١: ٣١-٣٣).

نرى كلمة «عهد» في العهد الجديد في المراجع التالية: عندما أراد البشير لوقا، أن يؤكّد للمسيحيين الأوائل بأن حياة المسيح وخدمته، كانت تحقيقًا للأهداف القديمة لشعبه المختار، فإنه لجأ إلى عهد النعمة الإبراهيمي واقتبس نبوءة الكاهن زكريا التي تُظهر بأنَّ المؤمنين منذ الأيام الباكرة، فهموا المسيح وعمله المسياني، كتحقيق لعهد الله مع إبراهيم. يذكر النص، «**لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا**» (لوقا ١: ٧٢-٧٣). عندما أراد المسيح أن يُفسّر معنى موته لتلاميذه، فإنه استخدم عقيدة العهد. يذكر النص، «**وَكَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلًا: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ»**. (لوقا ٢٢: ٢٠). وكذلك فعل الرسول بولس الرسول، إذ قال: «**كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي. فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ**

هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كورنثوس ١١: ٢٥-٢٦). رأى بولس نفسه، خادم العهد الجديد، إذ قال: «**لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ**» (٢كورنثوس ٣: ٢٦). ذكر الرسول بولس: «**أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ أَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْدًا قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ**». (غلاطية ٣: ١٥). وذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين، «**وَلأَجْلِ هذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ. لأَنَّهُ حَيْثُ تُوجَدُ وَصِيَّةٌ، يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ الْمُوصِي. لأَنَّ الْوَصِيَّةَ ثَابِتَةٌ عَلَى الْمَوْتَى، إِذْ لاَ قُوَّةَ لَهَا الْبَتَّةَ مَا دَامَ الْمُوصِي حَيًّا**». (العبرانيين ٩: ١٥-١٧). يذكر كاتب الرسالة الى العبرانيين، «**وَلكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ**» (العبرانيين ٨: ٦).

العلاقات الإلهية الإنسانية في الكتاب المُقدَّس، منظمّة بحسب مفهوم العهد

يؤمن لاهوتيّو العهد، أنّ العلاقات الإلهية-الإنسانية في الكتاب المُقدَّس، هي منظمّة بحسب مفهوم العهد. فإنه من خلال وسيلة العهد، تعامل الله مع شعبه، في عمله الخلاصي وشفاء انكسار الإنسانية. وأنَّ الأحداث البشرية في كل العهود الكتابية، تحدث بواسطة الله وتقود إلى الفداء النهائي للشعب من خلال يسوع المسيح. يربط لاهوت العهد، وعود الله القديمة، بحياة يسوع المسيح في العهد الجديد. إنّ سلسلة العهود الكتابية الموجودة في الكتاب المُقدَّس وصلت إلى قِمَّتها في العهد الجديد، في يسوع المسيح الذي بحياته وموته على الصليب، أكمل متطلّبات الأجزاء الثلاثة من الشريعة الموسوية: الجزء المدني، والجزء الطقسي، والجزء الأخلاقي. أكمل متطلّبات الجزء المدني، لأنه كان صالحًا والتزم بتعليمات الشريعة. ومتطلّبات الجزء الطقسي بتقديم نفسه

ذبيحة على الصليب. ومتطلّبات الجزء الأخلاقي، لأن المسيح كان بارًا ولم يوجد في فمه غشّ. وهكذا، بقوة الروح القدس، قام بتكوين شعب الله الجديد، التي هي الكنيسة. ويستمرّ تجديد العهد من خلال الكنيسة وأسرارها. يعتقد لاهوتيو العهد، أنه مع أنّ المسيح حقّق كامل أجزاء الشريعة، إلاّ أنّ الجانب الأخلاقي من الشريعة أي الوصايا العشر، لا يزال قائمًا كمقياس لحياة الأفراد والعالم أجمع، لأنه يمثّل ويعكس صفات الله الأخلاقية، وهذا أمر لا يتغيّر. لهذا فالقانون الأخلاقي سيبقى مقياسًا للكنيسة اليوم وإلى منتهى الدهور. في كتابه: «سرّ عهد النعمة العظيم»، يذكر صموئيل باتو: «لو لم تكن الشريعة الأخلاقية المعطاة على جبل سيناء هي عهد، لما استمرت، لأن المسيح أرضى بشكل كامل الشريعة الأخلاقية».

إلى ماذا تشير كلمة عهد؟

إنّ العهود الكتابية المصنوعة من قبل الله مع الجنس البشري، هي ترتيبات يصنعها إله متسام مع شعبه، يكون فيها الله هو الفريق الأقوى، الذي يضع الشروط والوعود للعهد. لكن هذا لا يعني أنَّ العهد هو كلّيًا بلا شروط، أو أنه آحادي بشكل كلّي دون أي التزامات من الفريق الأقل الأدنى أي الإنسان. يذكر اللاهوتي بورغوس، «إنّ علاقة الله مع آدم واستطرادًا الإنسان، سيكون مِن الأسهل فهمها، عندما تبدو أنها علاقة عهدية، عبر عهد، وليس عبر شريعة. فإنه دون عهد، لن يكون هناك معنى للعلاقة مع الله. يتمحور إيمان وتاريخ شعب الله في العهد القديم والعهد الجديد، حول العهود. تحدّث كُتّاب الكتاب المُقدَّس عن علاقة العهد بين الله وشعبه، باستخدام صور العلاقات العائلية: كعلاقة الأب مع الابن، أو علاقة الزوج مع زوجته. يستخدم الكتاب المُقدَّس، كلمة عهد للإشارة إلى مجموعة من الأمور، هي: الأول، للإشارة إلى وسيلة أو طريقة، تضمن علاقة فريدة. الثاني، للإشارة إلى العلاقة نفسها، التي تنتج من خلال صنع العهد. الثالث، للإشارة إلى علامات وأختان: مثل علامة قوس القزح

بالنسبة لنوح، وعلامة الختان بالنسبة لموسى. الرابع، للإشارة إلى الإعلان المكتوب، إمّا كلمات نطق بها أو كتبها الله، تتعلّق بعهد معيّن، أو الكلمات المذكورة، والمكتوبة في العهد. الخامس، للإشارة إلى إدارة خاصة لعلاقات الله، لا سيما علاقته مع شعبه الخاص.

يقدّم اللاهوتي المُصلَح بيتر بالكلي، أربعة أسباب وراء استخدام الله للعهد، هي: الأول، لكي يعلن الله عن أمانته وحقّه بالحفاظ على علاقة العهد. يقتبس بالكلي قول يوحنا الرائي: «**ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ**» (رؤيا ١٩: ١١). الثاني، لكي يؤكّد لنا الله أننا لسنا وحدنا، فالله سرّ بأن يربط نفسه بنا. يقتبس بالكلي، قول النبي إرميا: «**لأَنَّهُ كَمَا تَلْتَصِقُ الْمِنْطَقَةُ بِحَقْوَيِ الإِنْسَانِ، هكَذَا أَلْصَقْتُ بِنَفْسِي كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ بَيْتِ يَهُوذَا، يَقُولُ الرَّبُّ، لِيَكُونُوا لِي شَعْبًا وَاسْمًا وَفَخْرًا وَمَجْدًا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا**». (إرميا ١١: ١٣). الثالث، لكي يُطمّئن الله شعبه بوجوده معهم وسط تحدّيات الحياة اليومية. يقتبس بالكلي، قول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «**فَلِذلِكَ إِذْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيرًا لِوَرَثَةِ الْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغَيُّرِ قَضَائِهِ، تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ، حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَيِ التَّغَيُّرِ، لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا**» (العبرانيين ٦: ١٧-١٨). الرابع، لكي يظهر أنّ الله من خلال العهد معهم، قد أعطى شعبه الشرف والكرامة والجمال والملوكية والمجد. يقتبس بالكلي، قول كاتب سفر التثنية: «**وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ**». (تثنية ٢٦: ١٨-١٩).

يذكر الكتاب المُقدَّس سلسلة من العهود، تَمتدّ خلال التاريخ الخلاصي، اختبر خلالها الشعب العبري يد الله القديرة. يأتي كل عهد من هذه العهود في مرحلة

تاريخية هامة. يذكر الكتاب المُقدَّس خمسة عهود رئيسية، هي: الأول، العهد مع نوح. الثاني، العهد مع إبراهيم. الثالث، العهد مع موسى. الرابع، العهد مع داود. الخامس، العهد الجديد.

العهد النوحي

يخبرنا سفر التكوين، أنه بعد سقوط آدم وحواء في الخطية، لرفضهما الإصغاء إلى وصية الله، بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ (تكوين ٣)، انتشرت الخطية في نسل آدم. نرى أولى تَجلّياتها في تقاتل أولاد آدم: قايين وهابيل مع بعضهما، وقتل قايين لأخيه هابيل. وهكذا ساد الشرّ والفساد في الإنسان وعالمه، ووصل إلى مرحلة متقدمة جدًا، لم يعد يقبلها الله. يذكر كاتب سفر التكوين، «**وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ**» (تكوين ٦: ٥). أعلن الله قائلًا: «**فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً»**» (تكوين ٦: ٣). عندها، نرى ردة فعل الرب على شرّ الإنسان، «**فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ**» (تكوين ٦: ٦). وهكذا، وضع الله خطًا في التاريخ، وأعلن أنّ الأمور لن تستمرّ هكذا. ثمّ قرّر الله أن يمحو الإنسان عن وجه الأرض. يذكر النص، «**فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ**» (تكوين ٦: ٧). هذا ما يراه الله. وهذا ما يشعر به. وهذا ما يقترح أن يقوم به.

إلاّ أنَّ نوح كان يعيش حياة مختلفة عن البشر. فهو لم يكن يسايرهم في الشرّ والفساد. يقول النصّ: «**وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ**» (تكوين ٦: ٨-٩). وجد نوح نفسه، تحت تهديد من عامل خارجي، الذي هو غضب الله. لكن، مع أنّ العالم كله كان مهدّدًا من الله بالزوال، فقد وعد الله نوح بالخلاص.

فالله، يأتي برحمته وخلاصه إلى نوح، لأنه وجد نعمة في عينيه. النعمة وصلت إلى تلك الحالة المائتة أي نوح، التي لو تُركَت وحدها، لن تكون قادرة أن تستحق هذه النعمة. وبالتالي، النعمة وَجدْت نوح. وهنا تبرز كلمة «العهد» للمرة الأولى في الكتاب المُقدَّس. يذكر سفر التكوين، قال الله لنوح: «**فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ. وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ**». (تكوين ٦: ١٧-١٨). يعني تعبير، «**أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ**»، أضع عهدي في العمل معك. وبالتالي، إذا ما كان غضب الله يفيض على عالم فاسد من جهة، فإنّ الله من جهة أخرى، سيضع أمرًا آخر في العمل. فنشاط النعمة سوف يَبلُغ نوح ويحفظه، بينما يفنى العالم. إنها صورة حيوية عن العهد. يبدو وكأنَّ العهد كان هناك، لكنه لم يكن فاعلًا بل ميّتًا، لكنّ الله وضع فيه الحياة. لذا، سيقف العهد على رجليه، وسيكون في حركة. سوف يترك الله نوح يَتحمّل الفيضان مثل باقي الناس، لكنّه سوف يُغلّفه ويحميه في ظروف معيّنة في الفلك. ظروف تضمن، أنه عندما تسقط مياه الدينونة على العالم، فإنه سيكون آمنًا بفضل عهد الله معه. ظروف تضمن، أنّه عندما تقع دينونة الله على الأرض، سيرى نوح البركة الأسمى. فإنَّه فقط في وقت الدينونة، يصبح الفلك، فلك خلاص، لأنَّ الله الذي يصنع العهد هو الذي يحفظ العهد مع نوح.

قوس القزح، علامة خلاص

إنّ التركيز الأساسي في قصة نوح، هو على الخلاص. فالله العهد، يُعلن أنّه الله المخلِّص، الذي يتعهّد بنفسه أن يقوم بعمل الخلاص بشكل كامل. فوعود العهد، هي وعود الخلاص. تتكلّم علامات العهود، عن المواعيد الإلهية. تعلن علامات العهود، المواعيد الإلهية لشعب العهد. لقد أنجز الله عهده مع نوح من خلال علامة قوس القزح. يذكر النصّ: «**أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ.**

وَقَالَ اللهُ: هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ. وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ». (تكوين ٩: ١١-١٣). كان الهدف من علامة قوس القزح، التعبير عما هو حقيقي عن الله. قد نقول للوهلة الأولى: أنّ قوس القزح قد تعيّن من أجل الله. فالله سوف يُنظر إليه بين الغيوم ويُتذكَّر عهده «**أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ**». (تكوين٩: ١١) إنَّ علامة العهد هي عربون وضمانة من الله.

العهد الإبراهيمي

تُشدّد بداية رواية إبراهيم، على عدم وجود أولاد لأبرام. يَذكر سفر التكوين: «**فَقَالَ أَبْرَامُ: أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ؟ وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا: إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلًا، وَهُوَذَا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي**». (تكوين ١٥: ٢-٣). فيَعده الله، بأن يعطيه نسلًا من أحشائه. تذكُر الرواية، بأنّ الله قال لأبرام: «**فَإِذَا كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ قَائِلًا: لاَ يَرِثُكَ هذَا، بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ. ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا. وَقَالَ لَهُ: هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ. فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا**». (تكوين ١٥: ٤-٦). تتقدَّم الرواية، بإعطائنا الانطباع أنه غير مسموح لأبرام أن يقوم بأي مساهمة في وعد الله له، أن يعطيه نسلًا من أحشائه وأحشاء زوجته سارة. إلاّ أنّه، بناء لشريعة الأرض في زمنه. وبطلب من زوجته سارة، يدخل أبرام على هاجر، ويجلب من صلبها ولدًا هو إسماعيل. لكنّ الله بكل بساطة، لن يسمح لأبرام بتحقيق المواعيد الإلهية التي ستتحقّق من أحشائه وأحشاء سارة زوجته، عبر قدرته الإلهية. وهكذا نرى الملاحظات التالية: أولًا، أنّ أبرام غير قادر أن يساهم. وثانيًا، أنه ممنوع عليه أن يساهم. ثالثًا، عندما يبدو أنه يقوم بمساهمة ما، ستكون من خلال المواعيد التي وضعها الله له. عندما يبلغ

إسماعيل، الثالثة عشر من عمره، نرى الله يتدخّل ويحقّق وعده على طريقته. فهو لا يقول له، بما معناه: إني أرى أنه لديك ابن. كم كنت ذكيًا. لكنه يمنع كلّ العملية، ويتقدّم لكي يحقّق وعده بنفسه. ثم نرى لاحقًا أنَّ أبرام وسارة، ينجبان طفلًا هو إسحق، لأنّ الله أعطى القدرة لهما على ذلك. وهكذا تؤكّد لنا رواية إبراهيم، أنّ الله يقوم بكلّ شيء بشكل كامل. هذا هو المبدأ اللاهوتي، لعهد الله مع إبراهيم. فالله يأخذ على عاتقه، الالتزام الكامل بالعهد.

تكمّل الرواية أنّ الله يطلب من إبراهيم أن يقدّم ذبيحة من خلال عمل مُعبّر. يقول له: «**خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلاَثِيَّةً، وَعَنْزَةً ثُلاَثِيَّةً، وَكَبْشًا ثُلاَثِيًّا، وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً**» (تكوين ١٥: ٩). ثمّ يطلب منه أن يَشقّهم. يذكر النصّ، «**فَأَخَذَ هذِهِ كُلَّهَا وَشَقَّهَا مِنَ الْوَسَطِ، وَجَعَلَ شِقَّ كُلِّ وَاحِدٍ مُقَابِلَ صَاحِبِهِ**». لكي يمرّ الله بين الأجزاء المقطّعة (تكوين ١٥: ١٠). هنا نُلاحظ أمرين: الأول، لقد تمّ ترتيب الذبيحة بناء لتعليمات الله. قال له: «**خُذْ لِي**». فالله هو المحرّك وراء هذه الذبيحة. والثاني، يظهر الله في تلك الممارسة أنه العامل الأوحد. تكمّل الرواية، أنّ الله أوقع سباتًا على إبراهيم، لكي يضعه خارج العمل، ولا يكون أكثر من مراقب لما يفعله الله. يذكر النص: «**وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ، وَإِذَا رُعْبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ**» (تكوين ١٥: ١٢). ثم مرّ الله بين أجزاء الحيوانات المقطّعة على شكل تنور دخان ومصباح نار. يذكر النصّ، «**ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ**». (تكوين ١٥: ١٧). يخبرنا النبي إرميا، ماذا يعني المرور بين الأجزاء الحيوانية المقطّعة؟ فيقول: «**الْعِجْلَ الَّذِي قَطَعُوهُ إِلَى اثْنَيْنِ، وَجَازُوا بَيْنَ قِطْعَتَيْهِ**» (إرميا ٣٤: ١٨). يعني المرور بين الأجزاء المقطّعة، اتخاذ نذر خطير ومخيف. إلاّ أنه في عهد الله مع إبراهيم، فإنه وحده يمرّ بين أجزاء الحيوانات المقطّعة. ليس فقط أبرام لا يمرّ، لكن ممنوع عليه أن يمرّ. لهذا أوقع الله عليه سباتًا عميقًا، لكي يأخذ على عاتقه الالتزام الكامل بهذا العهد. ثم يقطع الرب عهدًا مع أبرام. يقول النصّ: «**فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا**» (تكوين

١٥: ١٨). أي في يوم الذبيحة، أقام الله عهدًا. هذا يعني، أنَّ الله كان يقول: إذا ما كُسِر هذا العهد، فإني سآخذ الالتزام به على نفسي بأن أحفظه. يرى لاهوتيون، أنّ هناك في هذا العهد، تلميحًا عن يوم الجلجثة، عندما أصبح المسيح لعنة لأجلنا. إنه عمل الله في التجديد. وعمل الله في جَعْل اسم أبرام، إبراهيم. وفي جعل الإنسان، إنسانًا جديدًا. نرى الله يلتزم بتحقيق عهده لأبرام بأن يعطيه نسلًا، وهو ابن تسع وتسعين سنة. يذكر النصّ: «**وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا، فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا. فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلًا: أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ**» (تكوين ١٧: ١-٥). وهكذا، يأتي الله بقوة مجدِّدة، ليجعل من ذلك الإنسان، إنسانًا جديدًا. ليجعل من إبراهيم ما لم يكن سابقًا، ويعطيه قدرة لم يكن يملكها. ليجعل من إنسانٍ عقيم، أبًا لكثيرين، حتى أنه عندما يولد الطفل سيقولون: هذا ما فعله الله. ثم يُغلّف الله هذا الوعد بعلامة الختان. نرى إبراهيم، يقوم بختان نفسه بالسكين، ويدخل في المواعيد ويصبح مدعوًا للطاعة. لا يرمز الختان إلى الطاعة، لكنه يرمز إلى الاستجابة، التي تستدعي الطاعة. لا يستطيع إبراهيم أن ينظر إلى علامة الختان، ويتذكّر مجد المواعيد، دون أن يُذكّر نفسه مرة تلو الأخرى، بالتزامه بطاعة الله، الذي قال له: «**أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلً**» (تكوين ١٧: ١). ليس هناك لحظة في الحياة، مستثناة من كلمة كاملًا. إنّ طبيعة العلامة في حالة إبراهيم. وطبيعة السياق الذي وضعت فيه العلامة، هي للإشارة أنَّ هناك أناسًا، التزموا أن يسيروا أمام الله ويكونوا كاملين.

عمل الله في اختيار إبراهيم

تُركّز رواية إبراهيم على عمل الله في الاختيار. يذكر النصّ، «**فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا**» (تكوين ١٥: ٦). يأتي إبراهيم إلى هذه اللحظة الهامة، بالثقة

في مواعيد الله. وهذا هو جوهر التبرير بالإيمان. يعيد الرسول بولس فتح الموضوع في رسالته إلى أهل رومية، فيقول: «**فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ، لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قِيلَ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ»**». (رومية ٤: ١٨). نظر إبراهيم بشجاعة إلى اليأس الكامل من الحالة الإنسانية. وبنفس الوقت، نظر بشجاعة إلى العهد الإلهي المُنْعِم. ثمّ أخذ موقفه إلى جانب مواعيد الله. عندما كلّم الله أبرام، «**وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا»**». (تكوين ١٥: ٧). ثمّ سأل أبرام الرب: «**فَقَالَ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟»**» (تكوين ١٥: ٨). يبدو هنا، وكأنّ الله يقول لأبرام: لا تظنّ أنّ إيمانك يشتري شيئًا، أو لديك أي قوة شرائية في السماء. لا تظنّ أنك بلغت مركزك باستحقاقاتك. دعني أذكّرك، كيف بدأت قصّتك: لقد أخرجتك من أور الكلدانيين. فالمبادرة الأولى كانت من الله. الاختيار الأول، كان اختيار الله. الدافع الأول، كان دافع الله. وبالتالي، هناك تشديد على أولوية وأساس عمل الله. لقد أخرج الله أبرام من أور الكلدانيين وجلبه في هذه الرحلة إلى هذا المكان، لأنّ الله كان يَعمَل في حياته. وهكذا، هناك عمل الله في الاختيار. وعمل الله في الالتزام.

سمات العهد الإبراهيمي

نرى سمات عهد الله مع إبراهيم، في الميزات التالية، أولًا، كونه عهدًا شخصيًا. إنه مع الإنسان إبراهيم. يذكر النص: «**فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ**». ثانيًا، كونه معلن في تعابير روحية، «**أَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ**». فالله يتعهّد بنفسه لإبراهيم، أنه سوف يكون إلهه وإله نسله. ثالثًا، في إعطائه أرض كنعان له ولنسله. يذكر النص، «**وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ**». رابعًا، في وضع الله الختان كعلامة للوعد. يذكر النصّ: «**وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ**

نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ». (تكوين ١٧: ٩-١٠). فممارسة الختان هي تعبير مرئي عن مواعيد الله. حتى أنه عندما ينظر إبراهيم إلى موضع الختان في جسده، يتذكّر مواعيد الله، ومكانته الحقيقية أمام الله. ويقول لنفسه: أنا هو الإنسان الذي صنع معي الله وعودًا.

أوجه الشبه والاختلاف بين العهد النوحي والعهد الإبراهيمي

أولاً، في روايتيّ نوح وإبراهيم، كان الله هو الفاعل الوحيد، لأنه قام بكل شيء. وهذا، يشير إلى أنّ الله وحده، هو الذي يَنشط في تحقيق وعوده. فالله يصنع العهود، ويُحقّق وعودها. إنّ الفرق بين رواية إبراهيم ورواية نوح، هو أنّ نوح كان تحت تهديد خارجي من غضب الله. لكن إبراهيم كان تحت تهديد داخلي، بسبب عدم قدرته على الإنجاب، لتجاوزه سن الإنجاب، ولكون أنَّ زوجته سارة كانت عاقرًا. فالإنسان في الروايتين، هو في وضع لا يستطيع أن يُساهم أو يتعاون فيه، لأنَّ التعاون يقتضي المساواة بين الفريقين. كان نوح يعيش في عالم فاسد، إلى أن وجدته النعمة. وكان إبراهيم الشخص الذي قال عنه الله، سأجلبك من أرض أور الكلدانيين. وأُعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك. كلّ أرض كنعان ملكًا أبديًا لك. وبالتالي، أنّ ما حدث مع هذين الشخصين كان بقرار إلهي.

قبل رواية عهد الله مع إبراهيم، نقرأ رواية محاولة الناس بناء برج بابل في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين. في ذلك الوقت، تَكتشِف الناس تقنية صنع اللبن. لهذا لم يعد الإنسان معتمدًا على الصخور، لكن يمكنه الآن أن يكون المهندس لنفسه، ويمكنه أن يلصق الحجارة ببعضها البعض ويُشيِّد بناء. يذكر النصّ، «**وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ**» (تكوين ١١: ٣).

عندما وجد البشر في هذا الأمر حلًا لمشاكل داخلية واجتماعية، «**وَقَالُوا: هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ**» (تكوين ١١: ٤). كان هناك خوفًا من التبدّد. وكان هناك الحلّ لهذا الخوف. أراد أن يكون الإنسان الحلّ لمشاكله، لكنّ الله قال له: كلّا. لن تكون أنت الحلّ. اعتقد الإنسان أنّ البرج الذي سيبنيه سيطال السماء. لهذا وجد الرب حاجة ملحّة، لأن يأتي ويبلبل ألسنتهم، لكيلا يفهموا على بعضهم، وهكذا يفشل مشروعهم ويبدّدهم على وجه الأرض. وهكذا نرى من خلال هذه العهود، أنه عندما يريد أن يكون الإنسان المخلّص لنفسه، كان جواب الله له: كلّا. وهذا يؤكّد، أنّ الإنسان ليس في وضع يستطيع أن يساهم أو يتعاون في تحقيق الوعود الإلهية. فالعهد يشير إلى خلاص يأتي بشكل كامل من الله، من خلال عمله الداخلي.

ثانيًا، يقف إنسان العهد في موقع وسطي بينه وبين الآخرين. عندما جمع نوح عائلته والحيوانات وأدخلهم في الفلك، فإنه لم يكن لديهم الحق في ذلك، بل كان حقهم ينحدر من نوح. وبالتالي، إنهم يستفيدون من إقامة الله العهد مع نوح. ولأنّ الله لا يستسلم أبدًا لكنه يبدأ من جديد، ويعمل بأمانة، نرى قصة دعوة الله لأبرام، مباشرة بعد قصة برج بابل. يقول الله لأبرام: «**أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ... وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ**». وهكذا، يأتي إبراهيم قبلنا، كالإنسان الذي تتبارك فيه الأرض. فأناس العهد، هم أناس يتوسّطون لنا.

ثالثًا، إنسان العهد، هو إنسان تحت شريعة الله. عندما جلب الله دينونته على العالم الفاسد، فإنه غطّى نوح في عهد خلاص. وهكذا عبر نوح عن الدينونة، بواسطة الفلك إلى العالم الجديد. ثمّ، ما أن خرج نوح من الفلك، حتى باركه الله مع أولاده، وأعلن لهم شريعته. يذكر النصّ: «**وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ. وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى**

كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ.» (تكوين ٩: ١-٢). ثمّ يضع الله لهم الشرائع المتعلّقة بالأكل، وبقداسة الحياة الإنسانية. وبالتالي، نرى في رواية نوح، مَظهرين: المظهر الأول، هو الذبيحة. والمظهر الثاني، هو الالتزام. يذكر النصّ، «فخرج، نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه، وكلّ الحيوانات وكلّ الدبابات وكلّ الطيور. وكلّ ما يدبّ على الأرض كأنواعها، خرجت من الفلك. وبنى نوح مذبحًا للرب، وأخذ من كلّ البهائم الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح. فتنسّم الرب رائحة الرضى، وقال الرب في قلبه: «**فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ**». (تكوين ٨: ٢١). إنّ العمل الأول الذي قام به نوح بعد انتهاء الفيضان وخروجه من الفلك، هو تقديمه ذبيحة محرقة، كذبيحة تكريس للرب. لكن تأتي ذبيحة إبراهيم، في وقت متأخّر عندما يطلب الله من إبراهيم، أن يقدّم ابنه إسحق ذبيحة لله، كامتحان لإيمانه. لكنّ الله يتدخّل في الوقت المناسب، ويوقفه عن ذلك، بتأمين كبش للمحرقة بديلًا عنه. يذكر النص: «**فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ**». (تكوين ٢٢: ١٣). وهكذا نرى، أنه في صلب رواية العهد، حقيقة الذبيحة. فالذبيحة وضعت في قلب تعاملات الله العهدية. ومباشرة بعد الذبيحة، يأتي الله إلى نوح بإعلان عن شريعته، ويطلب منه الالتزام بها.

رابعًا، بالنسبة لعلامات العهد. لقد وضع الله قوس القزح في الغيوم علامة العهد مع نوح. وهذا جزء من تشديد رواية العهد النوحي، بأنّ كل شيء هو من الله. فالله هو العامل الأوحد. إنّ وضع الله قوس قزح في الغيوم، هو علامة تعني بأنّ العداء قد انتهى. لكن عندما يأتي الأمر إلى إبراهيم، فإنّ علامة العهد التي يعطيها الله هي الختان. لن ينزل الله من السماء بشكل جرّاح ليجري العملية، لكنه يطلب من إبراهيم أن يكون جرّاح نفسه، وجرّاح عائلته،

وهذا ما يقوم به إبراهيم فإنه يختن نفسه، ويختن ابنه. وهكذا، في نفس الوقت الذي تضيء فيه الوعود على إنسان ما، فإنه يتحوّل إلى إنسان طائع. عندما يعطي الله وعوده لإنسان ما، فإنّ مسؤولية الطاعة تبرز معها أيضًا.

العهد الموسوي

إنَّ سفر الخروج، هو استمرار لقصة العهد التي نجدها في سفر التكوين. يُسجّل سفر الخروج، رواية عهد الله مع النبي موسى. تبدأ أحداث رواية العهد الموسوي، عندما ظهر ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة، على جبل حوريب. نظر موسى وإذا العليقة تتوقّد بالنار، لكنها لم تكن تحترق. وعندما تساءل موسى لماذا لا تحترق العليقة، وأراد أن يعرف السبب، ناداه الله من وسط العليقة، «**فَقَالَ: لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ. فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا»**. (خروج ٣: ١-٨). عندها يخبر الله موسى عن خطته بإنقاذ بني إسرائيل من عبودية المصريين، فيقول له: «**وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ**» (خروج ٣: ٩). ثمّ يطلب الله من موسى المتردّد وغير المُطمئنّ، أن يذهب ويتكلّم مع الفرعون لكي يخرج شعبه، قائلا له: «**فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ. فَقَالَ مُوسَى للهِ: مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟**» (خروج ٣: ١٠-١١). عندما رأى الله موسى، قلقًا وخائفًا من هول هذه المهمة، فإنه قوّاه وطمأنه بأنه سيكون معه قائلًا له: «**إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ**

اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ» (خروج ٣: ١٢). كانت العلامة التي أعطاها الله لموسى لإرساله في هذا المشروع، هو عبادة الله. وهكذا نرى من البداية، أنّ عبادة الله كان الهدف الأسمى من مشروع الخروج من مصر. لكن لم تنته تساؤلات موسى هنا. فهو يريد أن يكون مستعدًا لإجابات الفرعون والمصريين عن مهمّته، فيطلب موسى من الله المزيد من الاستفسارات.

وهكذا، فإنّ الحقائق التي أعلنها الله لموسى، هي التالية: أولًا، أعلن الله لموسى، أنه إله الآباء. وإله العهد. وأنَّ ما سيفعله، هو استمرارية لما قام به سابقًا. ثانيًا، يعلن الله لموسى أنه إله القداسة. يذكر النصّ، «**فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ».**» (خروج ٣: ٥). إنها المرة الأولى في الكتاب المُقدَّس، التي تظهر فيها القداسة منسوبة بشكل مباشر إلى الله. ترتبط القداسة، بالحضور الإلهي بشكل مباشر. لا نرى هذا الأمر في قصة التكوين. ليس هناك تكلّم عن القداسة، حتى قصة العليقة المحترقة. ثالثًا، يخبر الله موسى، أنه سيخرج شعبه من عبودية المصريين. رابعًا، يخبر الله موسى، عن مكانة إسرائيل في عينيه. إنها ابن الله المُتبنّى. يذكر النصّ، «**هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ**» (خروج ٤: ٢٢). خامسًا، يصبح موسى على دراية بالمسار التي ستسلكها الأحداث.

إنّ الأمر الشديد الأهمية الذي يعلنه الله لموسى قبل البدء بمهمته الشاقة، هو أنّ اسمه يهوه. يذكر النصّ، «**فَقَالَ مُوسَى للهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟**» **فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ».**» (خروج ٣: ١٣-١٤)، والذي يعني: «أنا أصير ما أشاء أن أصير». وكأنه يريد أن يقول: بإمكان يهوه أن يصير كل ما هو ضروري لإتمام مقاصده، وباستطاعته أن يجعل خليقته تصير أو تفعل ما يلزم، بغية تحقيق قصده. يريد الله أن يقول: «أنا الله، الحضور الحيّ مع شعبي». فكلمة الله تصبح حقيقة

معاشة، وحضور الله الحيّ ليس مجرّد فكرة، لكنه حقيقة. وبالتالي، عندما يعلن الله عن نفسه لموسى، وعن خطته لإنقاذ الشعب العبري من عبودية المصريين، فهو يريد أن يقول لهم: إني سأعمل من أجل خلاصهم. وهكذا، فإنّ موسى يدرك قبل انطلاقه مع الشعب إلى أرض كنعان، أنّ كل شيء سَيتحقّق بأعمال الله، وأنّ خلاص الشعب هو عمله. يذكر النصّ: «**لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ**». (خروج ٦: ٦). هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها كاتب سفر التكوين، فعل «سأخلّص»، بعد استخدامه للفعل مرة واحدة في سفر التكوين.

نصح الله موسى، أنّ يبدأ تنفيذ مهمّته، أولًا عبر فتح حوار ديبلوماسي مع فرعون مصر والمجموعة الحاكمة معه، لكي يطلق شعبه. قال الله لموسى: «**فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلُ أَنْتَ وَشُيُوخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ الْتَقَانَا، فَالآنَ نَمْضِي سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا**». (خروج ٣: ١٨). ثمّ بمعونة خاصة من الله، أجرى النبي موسى تسع عجائب. لكنّ الله كان قد حذّر موسى، أنه في البدء سيختبر عجائب إلهية، لن يكون فيها خلاص. يذكر النصّ، «**وَلكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ**» (خروج ٧: ٣). لكنّ الله مصمّم أن يحقق رغبته، رغمًا عن فرعون.

لكنّ الواقع الذي حدث، أنّ فرعون مصر لم يطلق الشعب الإسرائيلي ليعبد الله، بل على العكس، فإنه زاد من نير عبوديتهم. عندها شعر موسى بالفشل والإحباط في مهمّته. فرجع إلى الرب وسط فشله وإحباطه. عندها جدّد الله قوّة موسى وشجّعه، بتكرار هدفه الإلهي، وأنه سيطلق الشعب بيد قوية. يذكر النصّ، «**فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: الآنَ تَنْظُرُ مَا أَنَا أَفْعَلُ بِفِرْعَوْنَ. فَإِنَّهُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ يُطْلِقُهُمْ، وَبِيَدٍ قَوِيَّةٍ يَطْرُدُهُمْ مِنْ أَرْضِهِ. ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: أَنَا الرَّبُّ**» (خروج

٦: ١-٢). ذكر الله لموسى كلمة عظيمة هي، كلمة «الآن». ثم يضع الرب أمام عينيّ هذا الإنسان المحبط موسى، بعض الأهداف التي ذكرها سابقًا لإبراهيم، بأن يكون إلهًا له ولنسله من بعده، وأن يعطي نسله أرض كنعان. فقال له: «**وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمِ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا**» (خروج ٦: ٤). وهكذا، ما سيحدث هو استمرار لما كان قد فعله الله سابقًا مع آبائه. وبالتالي، عندما قرّر الفرعون تدمير الشعب العبري بشكل كامل، فهو لم يكن يعرف أنّه كان يتحدّى الوعد الذي أقامه الله مع إبراهيم. عندما حاول الفرعون تحدّي العهد، قام الله ليدافع عنه. بعدها، أوقف فرعون المناقشات الديبلوماسية، وقال لموسى: «**وَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: اذْهَبْ عَنِّي. اِحْتَرِزْ. لاَ تَرَ وَجْهِي أَيْضًا. إِنَّكَ يَوْمَ تَرَى وَجْهِي تَمُوتُ. فَقَالَ مُوسَى: نِعِمَّا قُلْتَ. أَنَا لاَ أَعُودُ أَرَى وَجْهَكَ أَيْضًا**». (خروج ١٠: ٢٨-٢٩). بما أنّ فرعون لم يستجب، شعر موسى بالإحباط والفشل، لكنه عرف كيف يتعامل مع إحباطه. فوضع إحباطه أمام محضر الله. نقرأ في نهاية الإصحاح الخامس، «**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى هذَا الشَّعْبِ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي؟**» (خروج ٥: ٢٢).

عندها يأتي الله بغضب إلى الفرعون، من خلال الأعجوبة العاشرة، والتي هي قتل الملاك المهلك أبكار العائلات المصرية، وعبوره فوق بيوت العبرانيين الذين يضعوا دم الحمل على عتبات البيوت وقوائمها. يذكر النص، «**فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ**» (خروج ١٢: ١٢). وهكذا، نرى أنّ سياق الفصح، هو سياق دينونة، دينونة غضب الله. لكنّ دم الحمل، الموجود على عتبات البيوت وقوائمها، يُهدئ من غضب الله، ويجعله لا يعمل، ضد ذلك البيت الذي يعبر فوقه الملاك المهلك. طالما أنّ هناك علامة الدم على البيت، سيكون ذلك البيت في أمان وينجو من الموت.

وبالتالي، فإنّ دم الحمل لم يجعل فقط الخلاص ممكنا للشعب، لكنه جعل الفداء، حقيقة فعلية. قبل موت الحمل، لم يكن الشعب العبري قادرًا على الخروج من أرض مصر. لكن بعد موت الحمل، فإنهم لم يعودوا قادرين على البقاء. فالفداء تحقّق بموت الحمل.

أعطيت التعليمات للشعب العبري، أنّ تُؤكل وجبة الفصح، «وَتَأْكُلُونَهُ بِعَجَلَةٍ» عند الصباح (خروج ١٢: ١١)، لكيلا يتأخروا عن الانطلاق إلى أرض الموعد. فلا يمكن للشعب أن يأكل فصح الرب، ويعيش في مصر. إنّ دم الحمل الذي منحهم السلام والأمان والحماية من الملاك المهلك، قد منحهم أيضًا الفرصة ليسيروا مع الله. وهكذا أكلوا الفصح عند الصباح، وانطلقوا في رحلتهم نحو أرض الموعد. كانت رحلتهم الشاقة، واجتيازهم البحر الذي شقّه موسى بعصاه، تحت القيادة الإلهية. يذكر النص، «**وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ**» (خروج ١٣: ٢١-٢٢). وهكذا وصلوا بقيادة موسى إلى جبل سيناء، ليحقّقوا خطة الله، ألا وهي عبادته، ويدخلوا في عهد معه من خلال موسى. يذكر سفر الخروج، «**وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا. فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ**» (خروج ١٩: ١٧-١٩). هناك نقطة مُلفتة، يجب ملاحظتها أثناء إعطاء الشريعة للشعب (خروج ١٩ و٢٠). فإنه عندما يبدأ الله الإعلان عن شريعته من خلال النبي موسى، فإنه يذكّرهم قائلًا: «أنا الرب الذي أخرجكم من أرض العبودية».

شعب العهد

يلحظ عهد سيناء، بداية تاريخ إسرائيل كشعب. من هناك، تبدأ حقيقة تكوين شعب إسرائيل، بعد خلاصهم من عبودية المصريين. خيّم العبرانيون، عند سفح جبل سيناء، وعمل موسى كوسيط بينهم وبين الله، وصعد إلى قمة الجبل واستلم من الله الوصايا العشر. يفترض التَّقليد الكتابيُّ أنَّه كان هناك عددًا كبيرًا من الإسرائيليِّين في مصر، وقد اشتركت الأسباط الاثني عشرة في صنع العهد. يذكر سفر العدد رقمًا كبيرًا من الإسرائيليين، «**فَكَانَ جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا، كُلُّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ كَانَ جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ سِتَّ مِئَةِ أَلْفٍ وَثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَخَمْسَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ**» (عدد ١: ٤٥-٤٦). لم يكن لدى الشعب الإسرائيلي بنية سياسية، لأنّ قادتهم الدينيون اعتبروا في البداية، أن إقامة بنية سياسية، وانتخاب ملك لهم، هو رفض لحكم الله المباشر عليه (قضاة ٨: ٢٣). نرى في سفر الخروج، الإصحاح التاسع عشر، العناصر التي واكبت، صنع العهد السينائي أو العهد الموسوي: أولًا، أَعدّ الشعب نفسه بغسل أجسادهم، والامتناع عن العلاقات الجنسية. ثانيًا، ظهور الله على قمة جبل سيناء ببرق ورعد وعواصف، وإطلاق صوت البوق. ثالثًا، سرد موسى أعمال الله العظيمة، وذَكَّر الشعب أنَّ الله يفي بوعوده. رابعًا، إعلان إرادة الله من خلال الوصايا العشر، التي هي دستور حياة للشعب. تُقسَّم الوصايا العشر إلى شقّين: شقّ يتحدّث عن مسؤولية الشعب أمام الله: وهو من الوصية الأولى وحتى الرابعة. وشقّ يتحدّث عن مسؤولية الإنسان تجاه الإنسان الآخر. وهو من الوصية السادسة وحتى العاشرة. وفي كلا الشقين، يعلن الله سلطته المطلقة على كلّ الجنس البشري. خامسًا، تجاوب الله مع الشعب، وتعهّده بالطاعة. إنّ تعهّد الشعب بطاعة الله، يتضمّن الإدراك أنّ الله هو إله غيور، يرفض أن يعبد شعبه آلهة اخرى، ويَضعه أمام مسؤولية الوفاء له وحده. سادسًا، إعلان وعود الله، واهتمامه المستمر بشعبه، وبركاته عليهم. سابعًا، تقديم ذبائح العهد، كامتنان وشكر لله.

توقّع الله من الشعب اليهودي الذي استلم العهد، أن يتجاوب معه بالإيمان، لتكون الطاعة ثمرة الإيمان. هناك ثلاثة أساسات رئيسية، لإيمان الشعب وثقتهم بالله: الأول، ظهور أمانة الله في الماضي، عبر أعماله المُخلّصة، التي حفظ فيها الآباء: إبراهيم، وإسحق، ويعقوب وأولاده. لهذا، إنّ إعادة القراءة لأعمال الله العظيمة مع الآباء والأجداد، أصبح جزءً عضويًا من تجديد العهود واحتفالات اليهود. الثاني، كانت أمانة الله في الماضي حافزًا لمنح الشعب المؤمن الثقة بالله في الحاضر، الأمر الذي قاد إلى تجديد العهد مع الله. الثالث، اختبار قوة وعظمة حضور الله المباشر، أثناء صنع الله العهد مع الشعب.

بنى موسى مذبحًا، وأقام اثني عشر عمودًا، كرمز لمشاركة الأسباط الاثني عشرة بالعهد. ثم قُدّمت الذبائح. فأخذ موسى من دم الذبائح الحيوانية، ورشّ نصفها على المذبح. ثمّ قرأ كتاب العهد. ودعا الناس، لكي يحقّقوا شروط العهد، الذي هو طاعة الله، وإزالة العبادات الوثنية من وسطهم. وعندما وعد الناس بالطاعة، أخذ النبي موسى النصف الثاني من الدمّ ورشّه على الشعب، وقال: «**وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ»**». (خروج ٢٤: ٨). إنّ رشّ الدم على المذبح وعلى الناس، يرمز إلى ختم الشركة، التي أقامها هذا العهد بين الله والشعب.

خَلَقَ العهد، بين الله والشعب علاقة شخصية. فالله الذي أعطى العهد، أظهر نفسه كشخص، يستخدم شهود، أمثال موسى الذي هو وسيط العهد القديم. لم يكن الشعب هو الذي طلب الله. ولم يكن أفراد الشعب، هم الذين سألوا من أجل العهد، لكنَّ الله اتخذ قراره بأن ينخرط بنفسه مع شعب إسرائيل. وبالتالي، فالرب يبادر في علاقة العهد، من خلال خادمه موسى. وبتخليص الله للعبرانيين من عبودية المصريين، فقد ظهرت نعمة الله مجّانًا للشعب. لم يطلب الله أي شيء من الشعب كشرط مسبق لتخليصهم، لكنه بتخليصهم، أعلن عن نفسه إنه يعمل كمُخلّص والسيّد الحاكم على الكون.

فعالية الدم

عندما تعاهد الله مع شعبه، عند سفح جبل سيناء. أخذ موسى من دم الذبائح الحيوانية، ورشّ نصفه على المذبح، ثُمّ قرأ كتاب العهد، ودعا الناس، لأن يُحقّقوا إرادة العهد. وعندما وعد الناس بطاعة العهد، أخذ موسى النصف الثاني من الدمّ ورشّه على الشعب، وقال: «**وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ»**». (خروج ٢٤: ٨). تتحدّث شريعة اللاويين عن رمزية وفعالية الدم. يذكر سفر اللاويين، «**لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ**» (لاويين ١٧: ١١). إنّ تصريح كاتب سفر اللاويين، أنّ نفس الجسد هي في الدم، هو تصريح صحيح ودقيق علميًا. الدم هو هذا السائل المُعقّد الذي يحفظ الحياة، على نحو فريد من نوعه. لا تزال غرائب هذا السائل المانح للحياة، يُدهش الفكر البشري. إنَّ معنى الدم، يجب أن ينسجم مع مهمته. إنَّ إحدى معاني كلمة «يُكفّر»، هو «يُخبّئ». عندما يُخبّئ الله أناسًا خطاة لكيلا يروا، فإنه يُخبّئهم من خلال دفع ثمن كاف يحرّرهم من دِيونهم. وهذا ما فعله المسيح، بموته على الصليب. فالدم يتحرّك أولًا نحو الله لكي يُكفّر. ومن ثمّ نحو الإنسان، فيرشّ الدم على الشعب. وهذا يعني، كما أنّ دم العهد من جهة يُؤسّس علاقة سلام مع الله من خلال الكفارة، فإنه من جهة أخرى، يوجد علاقة سلام مع شعب التزم أن يسير بطاعة الله. إنّ الالتزامات الروحية التي يُقدّمها الشعب لله، تتجاوز قدرتهم على تنفيذها، لكنّ نفس الدم الذي صنع لهم سلامًا مع الله، سيحفظ السلام معهم، إذا ما ساروا في طريق الطاعة. وعندما يعثرون ويسقطون، فإنّ دم العهد سوف يكون متوفرًا لكي ينتشلهم، من سقوطهم. هذه النقطة، تُوحِّد بين العهد القديم والعهد الجديد.

خيمة الاجتماع

إنّ خيمة الاجتماع، هي محورية في عهد الله مع شعبه. كان وعد العهد، أن يكون الله مع شعبه، وهو يكون إلههم. وكانت خيمة الاجتماع، في العهد الموسوي التركيز المرئي للعهد الذي يسكن وسط شعب إسرائيل. يذكر النصّ، «**وَأُقَدِّسُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحَ، وَهَارُونُ وَبَنُوهُ أُقَدِّسُهُمْ لِكَيْ يَكْهَنُوا لِي**» (خروج ٢٩: ٤٤). إنّ خيمة الاجتماع مع الله، هي خيمة الفداء. لقد أخرجهم الله من مصر بهدف أن يسكن في وسطهم. وبالتالي، خيمة الاجتماع هي العهد في العمل. إنها مجيء الله لكي يسكن في خيمته بين الآخرين، لكي يكون الإله وسط شعبه. هذه كانت الحالة في نهاية سفر خروج. نحن لا نعلم سبب أخذ تابوت العهد إلى مكان آخر، لكن نعلم أنه كان موجودًا عند تجديد العهد في شكيم. ثم يظهر تابوت العهد في بيت إيل. ومن ثمّ في شيلوه. اعتبر تابوت العهد، على أنه عرش الله الفارغ، الذي يرمز مجازيًا إلى حضور الله غير المرئي، مع الجماعة العابدة. عمل اللاويون ككهنة، أمام تابوت العهد. وكانت العبادة تحدث أمام تابوت العهد، الذي اعتبر عرش يهوه الفارغ.

دور الشريعة في حياة شعب العهد

أعطيت الشريعة الموسوية من قبل الله، لتكون نموذج حياة لأولئك الذين أنقذوا من خلال دم الحمل. ليست الشريعة في العهد القديم، هي المقياس لغير المؤمنين، كيما يجهدوا ليصلوا إلى السماء، لكنها نموذج حياة، أعطي للذين افتدوا بدم الحمل، حتى يعيشوا حياة قداسة، ويماثلوا الله في قداستهم. الشريعة الموسوية هي شاملة، تغطّي كل مظاهر حياة الشعب. إنّ هدف الشريعة، هي أن تجعل شعب الله قديسين مثله، لأنّ الله قدوس. كما يذكر النصّ، «**وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: كَلِّمْ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ**». (لاويين ١٩: ١-٢). وبالتالي، تأتي الشريعة كانعكاس لطبيعة الله، وتُخَطِّط لتجعل

شعب الله مثله. إنَّ الشريعة التي يعطيها الله، هي ليست شريعة عبودية. إنها حياة للناس الأحرار، الذين خرجوا من عبودية المصريين. لذا، فإنّ شريعة الله سوف تحفظهم من العبودية، ليكونوا أحرارًا على مثال الله.

العهد الداوودي

نحو نهاية القرن الحادي عشر ق. م. استقّر الفلسطينيون في جنوب غرب فلسطين. ثم ابتدأوا بالتوسّع في أراضي العبرانيين، وقاموا بغزو النصف الغربي من اليهودية، وجزءً من وادي اليهودية. وفي العام ١٠٥٠ ق. م. انتصر الفلسطينيون على العبرانيين ودمّروا شيلوه، وأخذوا معهم تابوت العهد (١صموئيل ٤: ١-١٠). بعدها انتصر الإسرائيليون على الفلسطيين. ثمّ بعد حوالي عقد أو إثنين، عاد الفلسطينيون وثبّتوا أنفسهم ثانية. إنّ قوة الفلسطيين المهددة للإسرائيليين، جعلت شيوخ إسرائيل يطلبون من النبي صموئيل أن يُعيّن لهم ملكًا. كانت تلك المرة الأولى التي يُعبّر فيها القبائل العبرية عن رغبتهم، لأن يكونوا ليس فقط جماعة دينية، وإنما أيضًا أمة سياسية. اعتبر النبي صموئيل في بداية الأمر، أنّ طلب الشيوخ تعيين ملكًا هو نوع من التمرّد على سيادة الله. لكنّ الشيوخ رفضوا موقف صموئيل هذا. يذكر النص، «**فَأَبَى الشَّعْبُ أَنْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ صَمُوئِيلَ، وَقَالُوا: «لاَ بَلْ يَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ، فَنَكُونُ نَحْنُ أَيْضًا مِثْلَ سَائِرِ الشُّعُوبِ، وَيَقْضِي لَنَا مَلِكُنَا وَيَخْرُجُ أَمَامَنَا وَيُحَارِبُ حُرُوبَنَا**». (١صموئيل ٨: ١٩-٢٠). إلاَّ أنه بسبب التهديدات الفلسطينية المتتالية، رأى النبي صموئيل في مطلب الشيوخ، إرادة الله. وهكذا، عيّن صموئيل شاول ليكون الملك الأول لإسرائيل. وأصبح صموئيل، فم الله، وشاول يد الله. لكنّ تبيّن أنّ شاول لم يُرضِ الله، فأقاله من الحكم. ثم طلب الله من النبي صموئيل، أن يعيّن، داود ملكًا. بعدها أثبت داود نفسه قائدًا عسكريًا جديرًا بالثقة. أسّس العاصمة أورشليم كمدينة سياسية، وجلب تابوت العهد إليها. ثمّ أقام الله عهدًا مع داود، إذ يذكر الله عن فم المرنّم: ««**قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ مُخْتَارِي، حَلَفْتُ لِدَاوُدَ عَبْدِي: إِلَى الدَّهْرِ أُثَبِّتُ نَسْلَكَ، وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ**

كُرْسِيَّكَ»»». (مزمور ٨٩: ٣-٤). ويذكر سفر صموئيل الثاني، «**أَلَيْسَ هكَذَا بَيْتِي عِنْدَ اللهِ؟ لأَنَّهُ وَضَعَ لِي عَهْدًا أَبَدِيًّا مُتْقَنًا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَحْفُوظًا، أَفَلاَ يُثْبِتُ كُلَّ خَلاَصِي وَكُلَّ مَسَرَّتِي؟**» (٢صموئيل ٢٣: ٥).

يذكر علماء الكتاب المُقدَّس أن عهد الله مع داود، يختلف من عدة نواح عن عهد الله مع موسى. لا نستطيع أن نرى في العهد الداودي، أي انخراط مباشر للشعب الإسرائيلي في العهد. لهذا يجب أن نُفكّر في العهد الداودي، في سياق العهود التي سبقت عهد سيناء: أي العهد النوحي والعهد الإبراهيمي. تثبّت في العهد الداودي، مصطلح ومركز «مسيح الرب». إنّ الكلمة العبرية، «مسيح الرب»، ترجمت إلى اليونانية، بكلمة «كريستوس» أو «المسيح». فالله يصنع العهد مع داود، وليس مع الشعب. والنبي ناثان، يتوسّط من أجل العهد. قال الله للنبي ناثان: «**وَالآنَ فَهكَذَا تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا عَظِيمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ**» (٢صموئيل ٧: ٨-٩). لقد اختار الله داود، ليكون ملكًا ليس من أجل نفسه، ولكن من أجل شعب الله. إنّ حضور الله المباشر، الممثّل من خلال تابوت العهد. وكلمات النبي ناثان، تظهر إعلان إرادة الله في سياق الوعد بتأسيس مملكة داود إلى الأبد. عندما أُوتي بتابوت العهد إلى أورشليم، قدّم داود ذبيحة محرقة، وذبيحة سلامة (٢ صموئيل ٦: ١٧). وأيضًا تجاوبًا مع النبي ناثان، دخل داود إلى خيمة الاجتماع، وجلس أمام الرب وصلّى «**فَدَخَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَلَسَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: «مَنْ أَنَا يَا سَيِّدِي الرَّبَّ؟ وَمَا هُوَ بَيْتِي حَتَّى أَوْصَلْتَنِي إِلَى ههُنَا؟**» (٢صموئيل ٧: ١٨).

يظهر علماء الكتاب المُقدَّس، أنّ الفرق الأساسي بين عهد داود، وعهد موسى، هو أنّ الله في العهد الداودي يَعد بمحبة ثابتة، لكن بالمقابل يجب على داود أن يطيع إرادة الله. يذكر النص، «**أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ**

أُؤَدِّبُهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ. وَلكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ كَمَا نَزَعْتُهَا مِنْ شَاوُلَ الَّذِي أَزَلْتُهُ مِنْ أَمَامِكَ» (٢صموئيل ٧: ١٤-١٥). إنّ تأسيس مملكة داود، لا يعني أن الملوك على العرش، هم محرّرون من مسؤولياتهم للطاعة، بل هم مذكّرون بالطاعة. يقول المرنّم: «**أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: «مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ»»** (مزمور ١٣٢: ١١-١٢).

احتفالات تجديد العهد

من الممارسات التي كان يقوم بها الشعب الإسرائيلي في العهد القديم، احتفالات تجديد العهد. يُخبرنا سفر التثنية، أنه كان يقام احتفال تجديد العهد كل سابع سنة. يذكر النص، «**وَأَمَرَهُمْ مُوسَى قَائِلًا: «فِي نِهَايَةِ السَّبْعِ السِّنِينَ، فِي مِيعَادِ سَنَةِ الإِبْرَاءِ، فِي عِيدِ الْمَظَالِّ، حِينَمَا يَجِيءُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ لِكَيْ يَظْهَرُوا أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ، تَقْرَأُ هذِهِ التَّوْرَاةَ أَمَامَ كُلِّ إِسْرَائِيلَ فِي مَسَامِعِهِمْ. اِجْمَعِ الشَّعْبَ، الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَالْغَرِيبَ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ، لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَيَحْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ التَّوْرَاةِ. وَأَوْلاَدُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا، يَسْمَعُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي تَحْيَوْنَ فِيهَا عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكُوهَا»»**. (تثنية ٣١: ١٠-١٣). تأتي هذه الاحتفالات في منعطفات هامة من حياة بني إسرائيل. تُظهر هذه الاحتفالات، أنّ فكرة العهد كانت مرتبطة عضويًا بتاريخ إسرائيل. تَضمنّت احتفالات تجديد العهد، المكونات التالية: أولاً، ذكر أعمال الله الخلاصية العظيمة في التاريخ. ثانيًا، إعلان إرادة الله في الحاضر. ثالثًا، التذكير بوعود الله وهدفه للمستقبل. رابعًا، دعوة الناس للتجاوب بامتنان مع أعمال الله الخلاصية، بالطاعة لإرادته المعلنة في الحاضر، على الرجاء المعلن في مواعيده وأهدافه. وهكذا، كان تجديد العهد، بمثابة إعادة توجيه لحياة الناس

في طريق الإيمان الصحيح. يذكر العهد القديم، ثلاثة احتفالات تجديد عهد رئيسية، على أيام: يشوع، وعزرا، ويوشيا.

تجديد العهد على زمن يشوع

اعتمد عهد سيناء، وعناصره المتنوعة، النموذج الأكمل لتجديد العهود اللاحقة. قاد عهد سيناء إلى تأسيس شكل معيّن من العبادة. وتجديد العهود اللاحقة، كانت بمثابة إعادة عيش أحداث الماضي الخلاصية بامتنان. وهكذا، فإنَّ أعمال الله العظيمة، لن تظهر للشعب كأحداث ميّتة وتقليد بالٍ، وإنما كحقيقة حيّة. فكانت تُعلن بركات الله ووعوده الأكيدة، خلال الاحتفال بتجديد العهد.

بعد العهد السينائي، هاجرت القبائل العبرية إلى واحة قادش، وعاشوا مدة أربعين سنة كبدو رحّل. فرعوا مواشيهم، وتاجروا بغنمهم تحت رعاية موسى. لكنّ دخول العبرانيين في أرض كنعان، جلب معه مُتغيّرات هامة في حياة الشعب الإسرائيلي. أثّرت الشعوب الكنعانية الوثنية بحضاراتهم وآلهتهم على الشعب العبري. تَضمنّت العبادة الكنعانية، ما سمّي «الزنى المُقدَّس»، إذ كان المزارعون يتّحدون مع كاهنات الهيكل في الزنى المُقدَّس لكي يساعدوا آلهتهم، حتى يعطي الخصوبة للأرض. وهكذا، دخلت الحياة الكنعانية الدينية في حياة الشعب العبري. هذه كانت الخلفية، عندما جمع يشوع، الشعب اليهودي في شكيم لإقامة احتفال تجديد العهد (يشوع ٨: ٣٠-٣٥). وبالتالي، أتى تجديد العهد الذي قاده يشوع في شكيم عند عدة منعطفات: الأول، في وقت تغيير في أسلوب حياة الإسرائيليين من الأسلوب البدوي، إلى الأسلوب النصف زراعي. الثاني، وقت تضمين وحدات قبلية جديدة في رعوية إسرائيل. الثالث، في زمن وطني هام، أثناء تراجع الإمبراطورية الأشورية، وإنجاز الملك يوشيا بإعادة غزو جزء هام من المملكة الموحّدة سابقًا. الرابع، في وقت إزالة الملك يوشيا العبادات الوثنية، والعناصر الوثنية من عبادة الشعب العبري. حدث أمران

مهمـان قبـل الاحتفـال: الأول، كتابـة الشـريعة علـى الحجـارة، (يشـوع ٨: ٣٢). الثانـي، وضـع حجـر كبيـر كشـاهد للشـعب علـى تعهّدهـم. ثـم تـمّ بنـاء مذبحًـا وقـدّم الشـعب للـرب ذبيحـة محرقـة، وذبيحـة سـلامة (تثنيـة ٢٧: ٦-٧). وختم العهـد، بتقديم الذبيحـة للإشـارة إلـى الشـركة مـع الله (يشـوع ٨: ٣٠-٣١). رافق احتفـال تجديد العهد فـي شـكيم، فرحًـا كبيـرًا وامتنانًـا عظيمًـا، تجاوبًـا مـع اختبـار نعمـة الله. ثـمّ تعهـد الشـعب بالالتـزام الكامـل للـرب، «**فَقَـالَ يَشُـوعُ لِلشَّـعْبِ: «أَنْتُـمْ شُـهُودٌ عَلَـى أَنْفُسِـكُمْ أَنَّكُـمْ قَـدِ اخْتَرْتُـمْ لأَنْفُسِـكُمُ الـرَّبَّ لِتَعْبُـدُوهُ». فَقَالُـوا: «نَحْـنُ شُـهُودٌ»**». (يشـوع ٢٤: ٢٢)، ثـم طلـب يشـوع منهـم، أن يضعـوا خارجًـا كل الآلهـة الغريبـة، ويتحوّلـوا إلـى الـرب بـكل قلوبهـم. وهكـذا، بـدا يشـوع كوسـيط، جـدّد عهـد الله مع الشعب، وأعلن إرادة الله.

تجديد العهد على زمن عزرا

فـي زمـن عـودة اليهـود مـن السـبي البابلـي، وتأسـيس مملكـة يهـوذا. كان الكاهـن عـزرا مـن ضمـن المسـبيين. وعندمـا قـررَّ الإمبراطـور الفارسـي كـورش، إطـلاق سـراح اليهـود المسـبيين، قـام بتعييـن عـزرا لكـي يجلـب شـريعة الله إلـى اليهوديـة. بعدهـا أقـام الكاهـن عـزرا احتفـالًا لتجديـد العهـد بيـن الله والشـعب. وعـدّد أعمـال الله العظيمـة مـن أيـام إبراهيـم، وحتـى الأيـام الحاضـرة. يذكـر النـص فـي سـفر نحميـا، «**وَلَمَّـا اسْـتُهِلَّ الشَّـهْرُ السَّـابِعُ وَبَنُـو إِسْـرَائِيلَ فِـي مُدُنِهِـمِ. اجْتَمَـعَ كُلُّ الشَّـعْبِ كَرَجُـلٍ وَاحِـدٍ إِلَـى السَّـاحَةِ الَّتِـي أَمَـامَ بَابِ الْمَـاءِ وَقَالُوا لِعَـزْرَا الْكَاتِبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسِـفْرِ شَـرِيعَةِ مُوسَـى الَّتِـي أَمَـرَ بِهَـا الـرَّبُّ إِسْـرَائِيلَ. فَأَتَـى عَـزْرَا الْكَاتِـبُ بِالشَّـرِيعَةِ أَمَـامَ الْجَمَاعَـةِ مِـنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَكُلِّ فَاهِـمٍ مَـا يُسْـمَعُ، فِـي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّـهْرِ السَّـابِعِ. وَقَرَأَ فِيهَـا أَمَـامَ السَّـاحَةِ الَّتِـي أَمَـامَ بَـابِ الْمَـاءِ، مِـنَ الصَّبَـاحِ إِلَـى نِصْـفِ النَّهَـارِ، أَمَـامَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْفَاهِمِيـنَ. وَكَانَـتْ آذَانُ كُلِّ الشَّـعْبِ نَحْـوَ سِـفْرِ الشَّـرِيعَةِ. وَوَقَـفَ عَـزْرَا الْكَاتِـبُ عَلَـى مِنْبَـرِ الْخَشَـبِ الَّـذِي عَمِلُـوهُ لِهـذَا الأَمْـرِ، وَوَقَـفَ بِجَانِبِـهِ مَتَّثْيَـا وَشَـمَعُ وَعَنَايَـا وَأُورِيَّـا وَحِلْقِيَّـا وَمَعْسِـيَا عَـنْ يَمِينِـهِ، وَعَـنْ يَسَـارِهِ فَدَايَـا وَمِيشَـائِيلُ**

وَمَلْكِيًّا وَحَشُومُ وَحَشْبَدَّانَةُ وَزَكَرِيًّا وَمَشُلاَّمُ. وَفَتَحَ عَزْرَا السِّفْرَ أَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ، لأَنَّهُ كَانَ فَوْقَ كُلِّ الشَّعْبِ. وَعِنْدَمَا فَتَحَهُ وَقَفَ كُلُّ الشَّعْبِ. وَبَارَكَ عَزْرَا الرَّبَّ الإِلهَ الْعَظِيمَ. وَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: «آمِينَ، آمِينَ!» رَافِعِينَ أَيْدِيَهُمْ، وَخَرُّوا وَسَجَدُوا لِلرَّبِّ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ». (نحميا٧: ٧٤ -٨: ١-٦). وهكذا، تعهّدوا بأنْ يلتزموا بالعهد بشكل ثابت أمام الله.

تجديد العهد على زمن يوشيا

وصلت إسرائيل في زمن داود، إلى نقطة تغيير أساسية في تاريخها. تزامن عهد الله مع داود، مع هزيمة الفلسطيين، وجلب تابوت العهد إلى أورشليم، وتأسيس مركز ديني وسياسي في حياة تلك الأمة الجديدة، وتأسيس مملكة داود. بعدها تمّ خسارة المملكة الداودية. ثمّ أتى تجديد العهد الذي قام به يوشيا الملك، بعد استعادته المملكة الداودية.

بناء على ما جاء في سفر الملوك الثاني، فإنّ كلّ الإصلاحات الدينية على زمن الملك يوشيا، ابتدأت بعد إيجاد كتاب الشريعة. عندما سمع الملك يوشيا كلمات الشريعة، فإنه مزّق ثيابه كتعبير عن توبته وحزنه. يذكر النص، «وقال: **اذْهَبُوا اسْأَلُوا الرَّبَّ لأَجْلِي وَلأَجْلِ الشَّعْبِ وَلأَجْلِ كُلِّ يَهُوذَا مِنْ جِهَةِ كَلاَمِ هذَا السِّفْرِ الَّذِي وُجِدَ، لأَنَّهُ عَظِيمٌ هُوَ غَضَبُ الرَّبِّ الَّذِي اشْتَعَلَ عَلَيْنَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ آبَاءَنَا لَمْ يَسْمَعُوا لِكَلاَمِ هذَا السِّفْرِ لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا**» (٢ملوك ٢٢: ١٣). نصّت شريعة التثنية، على أن يكون هناك مكانًا واحدًا تقدّم فيه الذبيحة. لهذا، قام الملك يوشيا بتدمير كل أماكن العبادة الوثنية. وأمر أنْ يُحتفل بالفصح في هيكل أورشليم. ثم دعا كلّ الشعب، كبارًا وصغارًا إلى تجديد العهد. يَذكر النصّ، «**وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ، فَجَمَعُوا إِلَيْهِ كُلَّ شُيُوخِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ. وَصَعِدَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ وَجَمِيعُ رِجَالِ يَهُوذَا وَكُلُّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ، وَالْكَهَنَةُ وَالأَنْبِيَاءُ وَكُلُّ الشَّعْبِ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، وَقَرَأَ فِي آذَانِهِمْ كُلَّ كَلاَمِ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ الَّذِي وُجِدَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. وَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَطَعَ عَهْدًا**

أَمَـامَ الـرَّبِّ لِلذَّهَـابِ وَرَاءَ الـرَّبِّ، وَلِحِفْـظِ وَصَايَـاهُ وَشَـهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِـهِ بِـكُلِّ الْقَلْـبِ وَكُلِّ النَّفْـسِ، لإِقَامَـةِ كَلاَمِ هذَا الْعَهْـدِ الْمَكْتُـوبِ فِـي هـذَا السِّـفْرِ. وَوَقَفَ جَمِيعُ الشَّـعْبِ عِنْـدَ الْعَهْـدِ». (٢ملوك ٢٣: ١-٣).